



البعد التداولي لدلالة التراكيب الإسنادية، وأثره في تعليمية النحو العربي مقارنة في ضوء تداولية الأساليب

مراد قففي

جامعة محمد بوضياف المسيلة/الجزائر

ص.ب 166 ذراع الحجار مسيلة ، الجزائر .

m.gouffi@univ-msila.dz

ملخص -

نُطرح اليوم في مختلف الأطوار التعليمية مشكلة عزوف المتعلمين عن استيعاب مضامين نحو العربية، ما أدى إلى ذلك المردود الهزيل لتعليمية تلك المضامين ومقاربة الكفاءات إزاءها، فهب المشتغلون بحقل التعليمية محاولين إصلاح ما بدا فاسداً من ذلك المنهج، أو مكتفين بما بدا لهم فيه غنىً عما سواه ويسدّ حاجات المتعلم الكفائية، وتراءى لهم في هذا منهج نفعي يحمل على عاتقه إشراك المتعلم وجعله محورا مركزيا، تدور حوله العملية التعليمية برمتها، فإن المنهج ذا يراهن على عنصر الإثارة، إثارة المتعلم فكرياً وفنياً لتنمية كفاءته الفكرية والذوقية فيمكنه مواكبة ما يصادفه من مواقف تعبيرية مختلفة. إن في مثل هذا التناول محاولة لرصد نقاط اللقاء بين الأساس التركيبي للغة، والمقدرة الفردية الاختيارية للمتكلم في التعبير عن المعنى وضوحاً وجمالاً، ولعلّ في هذا مبعيناً لتحسس منهج يُقرّب للمتعلمين معارف النحو بشيء من جمالية المعنى، وبذلك تُوصّل قواعد التركيب المجردة بالمعاني الفنية المستفاد. عسى أن تفيد مناهج تعليمية اللغة العربية من هذه المواءمات في تدريس نحو العربية، وبخاصة إذا ما علمنا أنّ سيكولوجيا المتعلم اليوم أضحت تمجّ القاعدة الضاغطة، وتستهنّ قوانين الإباحة وعدمها والأمثلة المصنوعة والإعراب التقديرية، وتنبذ جملة تلك الصور النمطية من مرفوعات ومنصوبات وغيرها.

The Pragmatic Dimension for Significance of Predecativ Structures and its Influence on the Didactics of Arabic Grammar A Pragmatic Stylistics Approach

Summary -

Nowadays, in various educational stages, the problematic of the learner's inability to assimilate the contents of Arabic Grammar is given for study. This consequently led to a very awkward output in the didactics of those contents and approaching the competencies to it. Thus, specialists, working in the field of didactics started a serious process of reforming what seems incompatible with the approach or clinging to what seems for them a unique approach enriching and meeting the competency requirements of the learners. In the course of all that, a pragmatic approach is regarded as the best alternative, since it undertakes involving the learner, making of him/her the central focus. Therefore, the composed abstract rules are attached to the artistic acquired meanings. This approach bets on the element of 'excitement'; exciting the learner intellectually, artistically, and tastefully. In doing so, he/she can keep up with the different expressive attitudes he comes across.

• توطئة -

إنّ ما يجيزه نظام اللغة من خصائص لسانية وأسلوبية يندرج ضمن مهارات المتكلمين التداولية بأسلوبيتهم المتباينة، فالمتعلم بوصفه متكلماً يحقق كفاءة نحوية متى أدرك وتدوّق الظاهرة الأسلوبية، فيتحوّل باحثاً عن النمط المثالي الذي انزاحت منه تِلْكُمْ الظاهرة، والذي هو في الغالب القاعدة النحوية، فلا تتجلى الدلالة الفنية إلا برصد مظاهرها الأسلوبية التي انزاحت إليها الدلالة الأولى (الأصلية) الأساسية بالنظر إلى الوظيفة التواصلية التي تحقّقها. وإنّ الكفاءة النحوية في تعليمية العربية لا تتحقق في فراغ عن الكفاءة الأدبية والفنية، من حيث مقاربتُها بالنصوص الأدبية المقررة، ولن تتعرّز تلك الكفاءة إلا باستحضار مجموع السياقات الانفعالية والوجدانية الاجتماعية القابعة في أدبية النص وحضوره السياقي والتداولي.

* التداولية منهاجاً وإجراءً

التداولية(*) علم جديد للتواصل الإنساني، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويُعرّف بالقدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وقد نالت لدى كثير من المهتمين اسم «علم الاستعمال اللغوي»⁽¹⁾. ومن جهة أخرى "تشير التداولية إلى مُكوّن من مكوّنات اللغة إلى جانب المكوّنين التركيبي والدلالي، ففي المكوّن التركيبي تدرج العلاقات التي تربط الدوال اللغوية بعضها ببعض، في حين أنّ المكوّن الدلالي يُصوّر العلاقات التي تصل هذه الدوال بالواقع وهو مرجع الدلالات (المعاني) اللغوية، أمّا المكوّن التداولي فتدرج فيه العلاقات التي تربط تلك الدوال بمستعملها وبظروف استعمالها وأثار هذه الاستعمالات على البنى اللغوية."⁽²⁾

وليس بالمقام متدبّع للإحاطة بالاتّجاه التداولي في جهازه المفاهيمي وتطوّره في الدرس اللساني الحديث، إذّما سيقصر الحديث في التداولية على ما يتصل

مباشرة بالإبداع اللغوي ماثلاً في جوانب العملية التواصلية من مخاطب و متكلم و سياق، كون اللغة كائناً حياً له تأثير بالغ في إنتاج الخطاب التداولي بملامح أسلوبية قابلة للدراسة.

و إن اللغة في تقدير (باختين M. Bakhtine) (*) ليست شيئاً ثابتاً و مجرداً نَحْتَكِم في دراسته إلى نسق من القواعد القارّة، بل هي نتاج الحياة الاجتماعية، أو بالأحرى إنها صيرورة من الدينامية المسائرة لدينامية الحياة الاجتماعية و تطورها، فإن كل مخاطبة توجد مرتبطة بنمط من أنماط التواصل الاجتماعي الحيّ، الأمر الذي يسمح ببيان الكيف الذي يتحقق من خلاله تطوّر الصيغ اللغوية و تغيرها، وفقاً لسلامات العلاقات القائمة بين المخاطبات و المحيط الاجتماعي عامّة.

وتجدد بنا الإشارة ههنا إلى ما أكدته دراساتٌ اهتمت بتأصيل المفاهيم التداولية في التراث اللغوي العربي، من أنّ هناك فكراً ناضجاً يتّصل بالتداولية جاء في ثنايا علوم لغوية عديدة و غير لغوية. وقد أشار د. "مسعود صحراوي"⁽³⁾ إلى جهود النحاة التداولية، من خلال بحثهم في الإسناد و علاقته بالظواهر الأسلوبية، و مبدأ الإفادة و علاقته بظواهر التعيين و الإثبات و النفي، و التقديم و التأخير و مبدأ الغرض و القصد، و درس الأفعال الكلامية في الأساليب النحوية، مثل التأكيد و القسم و الإغراء و التحذير و الدعاء و الاستغاثة و الذنبه.

هذا، وقد رأى أحد اللغويين المحدثين⁽⁴⁾ أنه أنّ الأوان لإقامة درس لغوي متكامل، فندرج في دراسة النحو مباحث البلاغة العربية، حتى تسدّ ما يبدو نقطة ضعف في النحو العربي (كشف الروابط بين الشكل و المعنى) و يُعمّم هذا المنهج على المستويات الدراسية، و من منطلقات دعاة إحياء النحو أنّ تدريس النحو صار يرتبط أكثر بطابع الصناعة، "حتى إنّه يُعرف أحياناً بصناعة النحو، ثمّ خلّوه من الارتباط بالمضمون ممّا جعله يبدو في نظرهم جسداً بلا روح."⁽⁵⁾

ولكنّ د. "تمام حسان" حينما دعا إلى إدراج علم المعاني ضمن تدريس النحو، كان يعي أنّ المزج المباشر غير ميسور، و التنفيذ ليس سهلاً، لذلك يبدو أنّ الإفادة من مباحث علمي البلاغة و النحو و المواعمة بينهما لا بدّ أن تقوم على تصوّر شامل للظاهرة اللغوية، بدّءاً من الكلمة بوصفها مدخلاً معجمياً معرفياً، و انتهاءً إلى النصوص، و بالاقتراب أكثر من فضاءات الدلالة و السعي إلى الاقتراب أكثر من مساحات المعنى، هذا المكوّن الهلّاميّ الجامح عن أعتة الدرس و نواميسه.

ويتساءل أحد المشتغلين بهذه القضية: ما الدافع إلى الشقاق بين النحويّ و البلاغيّ؟ "إنّ الصلة في أصلها حميمية، و كلاهما - النحوي و البلاغي - يتعاملان مع الأداء اللغوي. لقد حدث الشقاق - و يتحمل تبعته النحويون المتأخرون - حينما غفّل النحويون عن دراسة الظواهر النحوية متصلة بالتركيب اللغوي (...) و لم ينتهوا إلى البناء و قيمته النحوية و الفنية."⁽⁶⁾

أولاً / التحويل الدلالي:

يُعدّ المستوى الدلاليّ مرتكزا هاما في حقل الدراسات الحديثة للغة، إذ عملت الدراسات الدلالية على ربط قدرة توسيع دلالات الوحدات اللغوية للمتكلمين عن طريق عملية التحويل الدلالي بالمجاز، باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من مقدرتهم اللغوية، حيث تُعدّ الإبداعية المجازية نتيجة التعدّد الدلالي وبوصفها خاصية جوهريّة من خصائص عمل اللغات، بوصفها أنساقا سميائية مرنة وفعالة. ولقد أكّدت الدراسات التي اهتمت بمعالجة التراكم الدلالية المولدة أنّ المجاز ليس واقعاً مكوّناً للغة فحسب، وإنّما يؤدي دوراً أساساً في بنية الإنسان التصورية بوجه عام⁽⁷⁾ "ذلك أنّ المبدع لا يقنع بالعلاقات الدلالية بين المفردات في التركيب اللغوي للغة ما، بل ينفذ إلى سمات خاصّة يراها هو متأثراً بموقفه الانفعالي في الألفاظ وما بينها من ترابط، فيعقد الوشائج بينها ويصنّبها في قالب تعبيرى، فيحدث هذا التغيّر في مساحات الدلالة في الألفاظ"⁽⁸⁾

وقد أضحت التحوّل الدلالي أحد الروافد الهامة في إثراء اللغات وسدّ حاجات التغيّرات الطارئة على المؤسسة اللغوية على امتداد الزمن، وثرى العلاقة الوطيدة ما بين المعنى في مستواه الإفرادى (المعجمي) والمعنى المتحوّلة إليه الوحدة المعجمية ضمن عملية الإسناد، فكما تؤثّر هذه الوحدة المعجمية في إعارة معناها الأولي الأساس، تفيد في الوقت نفسه من هذه الدلالة التي شحنت بها ضمن المعنى الأسلوبى الذي حقّقته، وبه تحقّق مدلولها الجديد.

أ - الإسناد المجازي بالاستعارة:

تُعدّ الاستعارة في عرّف البلاغيين من المجاز اللغوي، فهي تشبيه حذف أحد طرفيه، فالعلاقة بين المستعار منه والمستعار له في أسلوب الاستعارة المشابهة على الإطلاق. ويفصّل عبد القاهر الجرجاني الحديث عن الاستعارة وما تعنّيه من منازل الشرف والحسن؛ ومن ذلك قوله: "إنّك لترى الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرص مبيّنة، والمعاني الخفية بادية جلية، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها- ولا ناصر لها- أعزّ منها، ولا رونق لها ما لم تُزنها"⁽⁹⁾

وتأخذ الاستعارة بحسب الجرجاني⁽¹⁰⁾ في التنوع فيقسّمها أقساماً، على أساس اللفظ المستعار، ويؤكد أنّ كل لفظة دخلتها استعارة مفيدة فهي لا تخلو من أن تكون اسماً أو فعلاً، وإنّ هذا المجال الدلالي الرّحب الذي تنحرف إليه الكلمة في الاستعارة يتقاطع في كثير من الأحيان مع العناصر الإسنادية (المعنى الإسنادي)، فتتولد جمالية الصورة التعبيرية، بحيث يُسند إلى الفاعل ما ليس له في الحقيقة، أو يُسند الفعل إلى غير فاعله في الحقيقة، أو أنّ يُخبر عن المبتدأ بما لا يوصل بمعناه في الحقيقة أو العكس.

إنّ الضرورى في أسلوب الاستعارة هو المشبه (المستعار له)؛ إذ هو المهمّ في عملية التواصل، وهو الموضوع المراد توضيحه، كونها قرينة الأساسية

في تحليل معنى الاستعارة وقياس البعد الفني فيه، فعندما نتأمل قوله تعالى: (فَدُوَّفُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)⁽¹¹⁾، نجد الخطاب موجهاً إلى المشركين بُعيد انهزامهم في غزوة بدر الكبرى، وما أصابهم من ذلٍ وخزي بعد أن أحلت غنائمهم وأسير فرسانهم، وكان كل هذا عذاباً لهم في الدنيا.

وإن التركيب الإسنادي (ذوقوا العذاب) متضمنٌ إسناداً مجازياً، فليس للعذاب ذوق في وضع اللغة، وإنما استعيرت من لفظ (ذوق) المسند الدلالة على أن ما تجرعه المشركون من ألم واستكراه وذل لا يقلُّ أثراً من تجرّع مادة تنفر منها النفوس، وتفسح عنها الأبدان، ولعلنا نُسجل تصويراً نفسياً لحال المشركين من خلال تحوّل دلالة الفعل (ذاق) في الآية الكريمة.

ب - الإسناد المجازي بالتشبيه البليغ:

لما كان التشبيه البليغ ذلك النوع من التشبيه الذي لم يبق من أركانه سوى الطرفين (المشبه، والمشبّه به) صار وسيلة من وسائل نقل الدلالة الإفرادية (المدخل المعجمية) من حقل دلالي إلى آخر، وذلك "لأنّ الوصف يحمل جرثومة الحديث بدلالته على موصوف بالحدث، وهذا الحدث هو الصالح أن يكون مسنداً (...). لأنّ المُسمّى لا يشتمل على الحدث، ولا يصلح أن يكون مسنداً (...). ومع ذلك نرى من الممكن إمّا عن طريق النقل، وإمّا عن طريق التشبيه البليغ أنّ الاسم ينتقل إلى الوصفية"⁽¹²⁾

إنّ التطابق التام بين طرفي التشبيه البليغ (المشبه به، والمشبّه) هو ما يميّزه من بقية أنواع التشبيه الأخرى مثلما يزعم البلاغيون، وذلك من خلال حذف الأداة ووجه الشبه، وهي قرائن دالة على المشابهة والمماثلة بين العنصرين، ففي قولنا: زيد أسد. فإنّ إسناد (أسد) إلى (زيد) بالإخبار من قبيل نقل دلالة (الأسد) من مستوى المعنى المعجمي (حيوان مفترس) إلى الدلالة الإسنادية الجديدة في التركيب المذكور آنفاً، وما من شكّ في أنّ مرجع هذا الإسناد المجازي كان المبالغة في تشبيه زيد بالأسد في القوّة والجرأة والانطلاق.

ج - الإسناد المجازي بالمجاز المرسل:

المجاز المرسل هو استعمال كلمة في غير معناها التي وضعت له لعلاقة غير المشابهة مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي، إذ هو عدول وتحوّل للكلمة (الوحدة المعجمية)، لكن ليس هذا التحول عن طريق المشابهة كما رأينا مع الاستعارة، فالعلاقة في المجاز المرسل تختلف وتتعدّد، ولعلّ تسميته بالمرسل من قبيل هذه العلاقة المرسلّة.⁽¹³⁾

إنّ نقل الدلالة أو تحويلها يجري عادة بين الكلمات التي تربط بينها وبين معناها المعجمي علاقة دلالية معيّنة، ويشمل هذا اللون من التغيّر الدلالي نوعين، انتقال مجال الدلالة لعلاقة المشابهة بين المدلولين، أي بسبب الاستعارة، وانتقال مجال الدلالة لعلاقة غير المشابهة بين المدلولين، وهو المجاز المرسل.⁽¹⁴⁾ أمّا درجات هذا التحوّل في الشعر فهي مرتقعة؛ "إذ يلجأ الشاعر - في الغالب - إلى التعبير بالصورة التي تجمع عناصر مختلفة وتؤلّف

بينها وتقدّم تشكيلا جديدا ورؤية متميزة." (15)، ومن أمثلة المجاز المرسل في القرآن الكريم قوله تعالى:

(وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ) (16)

فمعنى الآية أنّ الله تعالى ما كان يُعذب هؤلاء المشركين وفيهم مؤمنون يستغفرون الله، (17) فافظلة (هم) الواقعة مسندا إليه (مبتدأ)، العائد معناه على المشركين من المجاز المرسل ذي العلاقة الكلية؛ بمعنى أنّ امتناع العذاب عن المشركين لوجود من يستغفر الله فيهم، وإن كانوا قلة من المؤمنين. وإنما نسجل في هذا الإسناد المجازي عدة قيم دلالية نذكر منها:

- أن الخطاب القرآني بالاستغفار الذي يشمل المشركين فيه دعوة إلى التوبة والإنابة إلى الله .

- أن الاستغفار هو أحد الأمانين الذين جنبنا المشركين عذاب الاستئصال، أما الأمان الثاني فهو النبي ﷺ. (18)

د - الإسناد بالكناية:

إنّ الدلالة في أسلوب الكناية- (*) على تصوّر البلاغيين- تكون على مستويين متميزين ومتلازمين، أولهما مستوى الدلالة الوضعية بمعناها الحرفي، أمّا المستوى الثاني فهو الدلالة على المعنى الغرضي المراد التي ترتد إلى دلالة المعنى الحرفي في المستوى الأول (19)

و إنّ أهم ما يُميّز أسلوب الكناية- في تقدير البلاغيين- أنّها لا تنافي إرادة الحقيقة بلفظها فلا يمتنع بقولنا: (هو كثير الرماد)، أننا نريد المعنى من دون تأوّل، على خلاف المجاز الذي لا طريق فيه إلى المعنى المقصود من غير تأوّل، وتأتي الكناية على أكثر من لفظ غالبا، فإذا تفحصنا أسلوبها ألفينا مزية مضافة على المعنى المراد، وهي إيراد الشاهد أو الدليل الذي يُقوّي المعنى ويدعم إحساس المتلقي بالمحتوى الإبلاغي، فضلا عمّا يُميّز الكناية من جمالية تعبيرية وأناقة أسلوبية.

وتنضج جمالية المعنى الإسنادي الكنائي أكثر عندما تُحلّل النماذج القرآنية وعند الوقوف على تراكيبها الإسنادية، ومن ثمّ معانيها الإسنادية المكثّاة عنها، ففي قوله تعالى: (إِذَا جَاءَ الْخَوْفَ رَأَيْتَهُمْ يَقْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُعْتَسَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) (20) جاء الخوف مجسّدا بكل هوله وفزعه، وهؤلاء ينظرون إلى الرسول ﷺ، كأنه هو الذي أخرجهم إلى هذا الموقف، هذه النظرة كانت بأعين متفتحة لأقصى اتساعها. فالأعين لا تدور كلها، إنّما التي تدور هي العيون في الأحداق، فهذا الانتقال في الإسناد جعل العين كلها تدور، وهذا موقف لا يكون إلا عند الهلع الشديد.

ثانيا / تداولية التخيّر النحوي:

عدّ حسن التخيّر النحوي من معايير الصورة الفنية في نظر البلاغيين، 'فالصورة الفنية هي تلك التي أختيرت عناصرها الإفرادية، واخْتيرت نسفها الخاص التي تترتب فيه تلك العناصر، ويحتلّ كلّ منها موضعه الخاص به،

بحيث يكون لها بهذا الاختيار من القيمة مالا يتوفر في صورة أو بدائل أخرى (مفترضة) تشترك معها في أصل معناها، فاللغة الفنية في ضوء هذا المعيار هي لغة خاصة أو لغة فوق اللغة.⁽²¹⁾

والدراسة- في هذا المقام- تركز على ما يُضيفه حُسن التخيّر النحوي بصورة مباشرة إلى المعنى الإسنادي في الجملة البسيطة، وما يلحق رُكنيه من حذف أو إعادة الترتيب في ضوء- ما يُسميه د.تمام حسان- الأساليب العُدولية.⁽²²⁾ "فطريقة العرب تدبيج الكلام وتلويحه، ومجيء الفعلية تارةً والاسمية أخرى من غير تكلف لما ذكروه، ولقد رأينا الفعلية تصدر من الأقوياء الخُلص اعتماداً على أنّ المقصود الحاصل بدون التأكيد."⁽²³⁾ ولتَمَثَل هذا الفرق نُحَل نص الآية آفة الذكر لقوله تعالى: (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ)⁽²⁴⁾.

إنّ التركيب الإسنادي (لِيُعَذِّبَهُمْ) يشغل وظيفة المسند في التركيب الإسنادي العام كما إنّ العنصر الإسنادي (مُعَذِّبَهُمْ) واقع مسندا من الآية نفسها، وفي مجيء هذا المعنى الإسنادي مكرراً في الآية خصيصة دلالية دقيقة، مُفادها أنّ مجيء (المسند) الأول جملة فعلية (لِيُعَذِّبَهُمْ) يفيد معنى الحدوث المؤقت للفعل، وهذا ما توضّحه العبارة الفِيد (وأنت فيهم) بمعنى أنّ وجود النبي ﷺ بين المشركين منع عنهم العذاب، ويزداد الأمر وضوحاً عند مقارنة جزأي الآية؛ ففي صيغة (مُعَذِّبَهُمْ) التي شغلت وظيفة المسند دلالة على الحدوث الدائم والاستمرارية.

وفي فحوى هذه الدلالة يقول ابن عباس: "كان فيهما أمانان نبي الله ﷺ والاستغفار. أما النبي فقد مضى، وأما الاستغفار فهو باق إلى يوم القيامة."⁽²⁵⁾ فالفعل يدلّ على التجدد والحدوث، والاسم على الاستمرار والثبوت، ولا يحسن وضع أحدهما موضع الآخر.⁽²⁶⁾

أ - التقديم وأثره:

التقديم هو أحد الأساليب العُدولية، التي من خلالها يُعدّل عن القاعدة والنظام اللغوي القارّ لأغراض خاصة يبرّر بها المتكلم -غالبا- هذا العُدول، وقد تحدّث النحاة عن الرتبة في تأصيلهم للنماذج الكلامية المعدول بها عن هذا الأصل، فتحدّثوا عن الرتبة المحفوظة كرتبة الموصول وصلته ورتبة المضاف والمضاف إليه، وعن الرتبة غير المحفوظة التي لا يجد المتكلم بُدّاً من التصرف فيها.

إنّ للتقديم مزايا فنية وبلاغية متعددة تُلقِي بظلالها على المعنى الإسنادي، من حيث ملاءمة هذا التقديم للمقام المصاحب للحدث الكلامي، لذلك بحث البلاغيون في تقريب تلك الأغراض المقامية المُخوّلة تقدّم المسند (الخبر) على المسند إليه (المبتدأ).⁽²⁷⁾

ب - الحذف وأثره:

لم يهتمّ البلاغيّون بمظاهر الحذف - على إطلاقها - في الأساليب الفنية، فإنّ كان النحاة تحدّثوا عن الحذف بلونيه الواجب والجائز⁽²⁸⁾، فإنّ صور الحذف التي توقف عندها البلاغيّون لا تتعدّى الحذف الجائز، أي حذف ما يجوز ذكره⁽²⁹⁾، ومما يُسجّل في أسلوب القرآن الكريم تلك التراكمات محذوفة المسند (الخبر)، وتبقى قرينة السياق أقوى القرائن في عمليات الحذف تلك جميعاً، نحو قوله تعالى: ﴿لَيْلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾⁽³⁰⁾

وإنّ كان الزمخشري قد ذهب إلى "أنّ (ذلك) من الآية مبتدأ، ومحلّه الرفع على الابتداء، و(بأنّهم) خبره، أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مُشاقّتهم."⁽³¹⁾ أمّا الدواعي التداولية لحذف المسند إليه (الفاعل) فعديدة، ويمكن تصنيفها إلى أغراض لفظية وأغراض معنوية

- الأغراض اللفظية: تكون بالمتكلم حاجة إلى حذف لفظ في كلامه، وقد يكون هذا المحذوف العنصر الإسنادي (الفاعل) بهدف الإيجاز أو حتى تضبط الرتات الإيقاعية⁽³²⁾ في المستوى الصوتي وما لذلك من أثر في الصورة الإبداعية للمحتوى الإسنادي، ومن بين تلك السمات الإيقاعية في حذف المسند إليه (الفاعل) يُذكر:

- إقامة الوزن - توافق القوافي - تقارب الفواصل - الإيجاز.
- الأغراض المعنوية: لحذف الفاعل أغراض معنوية عديدة، وما يتّصل منها بهامش الفنية التعبيرية يُذكر:
- الإيهام بجهل الفاعل. ويكون حذفه على سبيل الامتناع عن ذكره لأغراض خاصة بالمتكلمين.
- التحقير والتقليل من شأنه؛ كأن يُضربَ المتكلم عن ذكر الفاعل لسوء فعله.
- مراعاة غرض السامع، إن كان مشدوداً بالمفعول من دون الفاعل .

خاتمة:

وفي الختام نخلص إلى أنّ الجملة قد باتت على قدر كبير من الأهمية يستوجب قدراً كبيراً من العناية والاهتمام درساً وتدریسا، ولا مناص من أن يتجاوز بها هذا الدرسُ حدود البحث في هيكاتها التركيبية إلى ما وراء هذه الهيئة من دلالات على المعنى؛ إذ أضحت التحو مشغلة الفنانين والشعراء، ومرجعا لإبداعيتهم. وحتى يُستجلى سرّ هذا الإبداع لامناص من فقه أدواته التحوية، فصار لزاماً على المشتغلين بتعليميّة اللغة العربية استثمار ما توصل إليه هذا الدرس ضمن علم التراكمات وفنّيات تعليميّة التراكمات النحوية.

وإنّ المكوّن التداولي مُعين هامّ في تحليل المعاني الإسنادية، من حيث استجلاؤها في مناحيها الاجتماعية والتاريخية، فيمكن الإشارة في هذا السياق إلى المعاني الكنائية وكذا الأمثال المتوارثة؛ فالمكوّن التداولي هو أحد مفاتيح التحليل الدلالي للجملة العربية. ولعلّ في جهود البلاغيين اللغوية ما يُمكن اعتماده قاعدة أساسية في البحث عن مظانّ التداولية في اللغة العربية (الأساليب، فكرة المقام، أفعال الكلام، وغيره)

ويبدو ضروريا جدا التنويه إلى وظيفة المسند والمسد إليه الشعرية، في تحليل الجملة العربية، بغية تحقيق الأهداف التعليمية المرومة، إذ يمكن أن يُستثمر محور الاستبدال الدلالي بتنوع النماذج التركيبية استعمالا وتوظيفا، بما من شأنه تنمية المخيال الشعري لدى المتعلم وتربية ذوقه اللغوي والفني. وإن في استحضار ملابسات الحدث اللغوي في طبقاتها المقامية وفي مساحاتها الفنية والجمالية، ما من شأنه إثارة المتعلم بالظاهرة التركيبية محل المقاربة، فينفذ منها إلى النمط المثالي لأصل التركيب، باستثمار المجهود الأدنى لتحقيق المرود الأقصى، ويمكن تقريب ذلك بالخطاطة التالية:

الأثر الفني ← التحليل الأسلوبي ← الظاهرة التركيبية ← استنتاج القاعدة
(النص) (المقارنة) ← (درجة العدول) (النمط المثالي)

الهوامش -

- *- التداولية: يقابلها المصطلح الأجنبي Pragmatics. وتؤكد دراسات في المجال امتدادها للمذهب الذرائعي في الفلسفة النفعية pragmatisme. ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر. لبنان: بيروت، ط:1، 2005، ص 17 و 18.
- 1- ينظر: فان ديك، النص والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، د/ط. ترجمة: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، المغرب: الدار البيضاء، د/ت، ص 255.
- 2-خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ط 2. دار القصب للنشر، الجزائر، 2006، ص 176.
- *- ميخائيل باختين، مفكر وناقد روسي، عُرف بنظرياته في مجال الأدب وأسلوبية الرواية، من مؤلفاته: (الماركسية وفلسفة اللغة). وله جهود في بلورة مفاهيم المنهج التداولي الحديث. ينظر: مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد9، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة 1999. د. محمد الحيرش، "تداوليات الخطاب عند باختين"، ص 161.
- 3- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، ص 173 وما بعدها.
- 4- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ط3. عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998 ص 336.

- 5- المرجع نفسه، ص336.
- 6- رجاء عيد، فلسفة البلاغة، د/ط. منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د/ت، ص17.
- 7 - ينظر: حسام البهنساوي، التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، 2004، ص207 و208.
- 8- فايز الداية، علم الدلالة العربي، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996، ص392 و393.
- 9- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، ط1. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1994، ص33.
- 10- ينظر: المرجع نفسه، ص34.
- 11- الأنفال، من الآية 35.
- 12- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ط1. عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1993، ص42.
- 13- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص365 .
- 14- حلمي خليل، الكلمة، د/ط. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995، ص117.
- 15- محمد حماسة عبد اللطيف، ظواهر نحوية في الشعر الحر، ط1. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د/ت، ص12.
- 16- الأنفال، من الآية 33.
- 17- ينظر: محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، ط5. قصر الكتاب، الجزائر، 1990، ج1، ص503.
- 18- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص503.
- *- الكناية تقابل بالتصريح ، لأنها مشتقة من الكنو، أو الكني، وهو الستر.
- 19- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح: محمد رشيد رضا، ط1. دار المعرفة، بيروت، لبنان 1994، ص60.
- 20- الأحزاب، من الآية 19.
- 21- حسن طبل، المعنى في البلاغة العربية، د/ط. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر 1998، ص156.
- 22- ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص10 و345 و393.
- 23- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4. دار المعرفة، بيروت، لبنان، د/ت، ج4، ص66.
- 24- الأنفال، من الآية 33.
- 25- ينظر: محمد على الصابوني، صفوة التفاسير، ج1، ص503.
- 26- ينظر: الزركشي، البرهان في علم القرآن، ج4، ص66.
- 27- ينظر: المرجع السابق، ص85 و86 .
- 28- ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص21.

- 29- ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص16.
- 30- الأنفال، من الآية 13.
- 31- الزمخشري، الكشاف، تح: محمد مرسي عامر، ط2. القاهرة: دارالمصنف، 1977، ج2، ص160.
- 32- ينظر: تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ص257.

قائمة المصادر والمراجع

- أولاً/القرآن الكريم، برواية: الإمام ورش.
ثانياً/ المراجع والمصادر:
- 1-البهناوي(حسام البهناوي): التراث اللغوي وعلم اللغة الحديث، ط1. مكتبة الثقافة الدينية، 2004.
- 2- الجرجاني (عبد القاهر الجرجاني) :
* أسرار البلاغة، تح: محمد رشيد رضا، ط1. دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1994.
* دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، ط1. دار المعرفة، بيروت، لبنان 1994.
- 3- حسان (تمام حسان):
* البيان في روائع القرآن، ط1. عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1993.
* اللغة العربية معناها ومبناها، ط3. عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998.
- 4- حماسة عبد اللطيف (محمد حماسة عبد اللطيف): ظواهر نحوية في الشعر الحر، ط1. مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، د/ت.
- 5- خليل (حلمي خليل): الكلمة، د/ط. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1995.
- 6- الداية (فايز الداية): علم الدلالة العربي، ط2، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1996.
- 7- الزركشي(محمد بن عبد الله): البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط4. دار المعرفة، بيروت، لبنان، د/ت، ج4.
- 8- الزمخشري (محمود بن عمر بن محمد بن أحمد جار الله): الكشاف، تح: محمد مرسي عامر، ط2. القاهرة: دار المصنف، 1977، ج2، ج5.
- 9- طالب (خولة الإبراهيمي) مبادئ في اللسانيات، ط 2. دار القصة للنشر: الجزائر، 2006.
- 10- طبل (حسن طبل): المعنى في البلاغة العربية، د/ط. دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1998.
- 11- الصابوني (محمد على الصابوني): صفوة التفاسير، ط5. قصر الكتاب، الجزائر، 1990، ج1.
- 12- صحراوي (مسعود صحراوي)، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي.
- 13- عيد (رجاء عيد): فلسفة البلاغة، د/ط. منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د/ت.
- 14- فان ديك، النص والسياق "استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ترجمة: عبد القادر قنيني، د/ط. دار أفريقيا الشرق، المغرب: الدار البيضاء، د/ت.
ثالثاً/ الدوريات:
- 15- مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد9، مطبعة النجاح الجديدة: الدار البيضاء، 1999. (د.محمد الحيرش، "تداوليات الخطاب عند باختين".